جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي
رواية "أوراق المورينجا" أنموذجا

The Aesthetics of Place and Its Relationships in Narrative Discourse:
"The Novel Leaves of Moringa" as a Case Study

د. محمد بن مشخص المطيري

البريد الإلكتروني: mmalmutairi@mu.edu.sa

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة المجمعة

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
2025/01/21		2025/03/10
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-010		

المستخلص:

للمكان حضور فاعل في حياة الإنسان، ليس من خلال معماريته وبنائه الهندسي، ولكن بوصفة بنية ذات أثر وتأثير، فهو يمثل بُعدًا ذهنيا وتصورًا علائقيا، يحمله الإنسان في وجدانه منذ ولادته وحتى رحيله؛ لذلك يتناول هذا البحث: جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي: رواية "أوراق المورينجا" أنموذجا؛ من خلال الحديث عن مفاهيمه النظرية والإجرائية؛ ليتجلى ذلك الحديث: في مقدمة ومهاد ومبحثين وخاتمة، فتحدث البحث عن الجمالية والمكان والمفاهيم المجاورة، ثم عن أهمية المكان وأقسامه...، ليمتد البحث؛ فيتناول أنواع المكان في هذه الرواية، وعلاقاته مع عناصر السرد الأخرى فيها، متخذا المنهج الوصفي التحليلي منهجا في هذه الدراسة، ليصل البحث في خاتمته إلى نتائج منها، تعددية الأمكنة في هذه الرواية، مع الإضافة الفنية التي تميزت بها؛ بتوظيف السرد بين الواقع الحقيقي والمتخيل الروائي، ليوصي البحث في نهايته بأهمية الإجراء التطبيقي؛ ليسهم في حركيّة البحث العلمي وتطوره.

الكلمات المفتاحيّة: الرواية، عنصر المكان، عناصر السرد، الجمالية، المستنير.

Abstract

The Place holds a dynamic presence in human life, not merely through its architecture and structural design, but as a construct with influence and impact. It represents a mental dimension and a relational perception carried by a human in his consciousness from birth to death. Therefore, this research addresses the aesthetics of place and its relationships in narrative discourse: The novel "Awraq al Moringa" Leaves of Maringa as a Case Study, by discussing its theoretical and procedural concepts. This discussion unfolds through an introduction, two main chapters, and a conclusion. The research examines aesthetics, place, and related concepts, followed by the significance of place and its classifications. Then it goes on to analyze the types of places in the novel and their relationships with other narrative elements, employing a descriptive analytical method in the study. The research concludes with findings, including the multiplicity of places in the novel and the artistic contribution that distinguishes it by utilizing narration to blend real-life and fictionalized reality. In conclusion, the study emphasizes the importance of practical application to contribute to the dynamism and development of scientific research.

Keywords: Novel, Element of Place, Narrative Elements, Aesthetics, Enlightened.

المقدمة:

الرواية من الأجناس الأدبية؛ التي هي شكل من أشكال التعبير الإنساني عن الذاتية والحياة الثقافية والاجتماعية...، وقد نجحت بسبب ما تملك من مقومات التماسك بين عناصرها، ولتقريبها المتخيّل الروائي من الواقعية الحقيقية، ويمثل المكان العمود الفقري الذي يربط بين أجزاء العمل الروائي؛ من أحداث وشخصيات وزمان وسرد، ويسهم تجسيده في رسم أبعاد الجمالية المكانية، وقد تنامت العلاقة بين الإنسان وبين المكان؛ حتى أصبح المكان من القضايا التي يوجّه لها البحث؛ بقصدية التعمق في هذه العلاقة والكشف عن دلالات التأثر والتأثير...؛ ومن هنا ينطلق هذا البحث الموسوم بـ "جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي: رواية "أوراق المورينجا" أنموذجا؛ للكشف عن جماليات المكان وعلاقاته في عالم السرد الروائي، وتخيّرت هذه الرواية؛ للتطبيق والدراسة.

ويهدف هذا البحث إلى:

- بيان أنواع المكان وعلاقاته في العمل الروائي.
- الكشف عن الجمالية المكانية ومدى ترابطها مع العناصر الأخرى في هذه الرواية.
- توضيح بعض الدلالات التي تؤديها الأمكنة المختلفة في هذه الرواية.

ومن أسباب الكتابة عن هذا الموضوع:

- الكتابة عن أديب، له كتاباته القصصية والروائية؛ ومن حق المبدع التعريف به والكتابة عن إنتاجه.
- تعدد الأمكنة في هذه الرواية؛ مما جعلها مطلبا للنظر في جماليات المكان فيها.
- الرغبة في تقديم دراسة تطبيقية عن المكان، وهذه الرواية كوّن المكان فيها

دورا بارزا.

ويبحث البحث عن هذه الأسئلة.

- كيف تعامل الروائي مع المكان؟ وما أنواع الأمكنة في هذه الرواية؟
- كيف ظهرت العلاقة بين المكان وبين العناصر الروائية الأخرى؟

وقد فرضت طبيعة البحث؛ تقسيمه بهذا التراتب، فتكون من مقدمة فمهاد ثم مبحثين فخاتمة ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه. تحدث البحث في التقديم عن: أهمية الموضوع وأهدافه وأسباب اختياره ومنهجه...، وفي المهاد حديث عن: مقاربة مفاهيمية؛ تناولت فيها مفهومية الجمال، مع الإشارة إلى الفروق بين دلالة الجمال والجميل والجمالية، ثم الحديث عن المكان والمفاهيم المجاورة؛ الحيز والفضاء...، مع الإشارة إلى أهمية المكان وأقسامه، ثم مفهوم الرواية. وفي المبحث الأول: تحدثت عن أنواع المكان في هذه الرواية؛ من حيث الانغلاق والانفتاح؛ أشرت فيه إلى مضمونية هذه الرواية، فجاء المطلب الأول عن الأماكن المفتوحة؛ ذكرت فيه هذه الأماكن مع الأمثلة عليها من الرواية. وكذلك فعلت في المطلب الثاني عن الأمكنة المغلقة. وفي المبحث الثاني: تحدث البحث عن العلاقة بين المكان والعناصر الروائية الأخرى؛ من خلال ثلاثة مطالب: المطلب الأول: المكان والشخصيات. والمطلب الثاني: المكان والوصف. والمطلب الثالث: المكان والزمان. ثم جاءت خاتمة البحث؛ وفيها أبرز النتائج. لتأتي في نهاية البحث؛ قائمة بمصادر البحث ومراجعه. وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لكونه يناسب وصف الأمكنة الواردة في الرواية، فيقوم باستقراء نصوص الرواية ثم توظيفها تحت عنصر المكان، وثمة يقوم البحث بتحليل تلك النصوص؛ وفق السردية التي تستخدم المكان وأنواعه وتسبر أغوار دلالاته. وبالنظر

إلى الدراسات السابقة؛ فإنني لم أجد أيّ دراسة لهذه الرواية؛ هناك دراسات كثيرة عنيت بدراسة المكان؛ ولكن هذه الرواية –في حدود علمي–لم تدرس من قبل.

وفي إطار هذا التقديم؛ سيتناول البحث جماليات المكان وعلاقاته في هذه الرواية؛ وقد اعتمدت في الدراسة على مراجع لصيقة بالموضوع ومتخصصة فيه؛ لأشهر الكُتاب والدارسين والناقدين؛ لتكوّن منطلقات استفدت منها في الاستنتاج والقول بعد ذلك. والحمد لله رب العالمين.

مهاد: مقاربة مفاهيمية

١– مفهوم الجمال:

للكلمة دلالاتها التي تحيل إليها، وعند الحديث عن الجمالية؛ ستحيلنا إلى علم الجمال الذي اهتم به الدارسون والفلاسفة بداية من أفلاطون وأرسطو؛ ليميزوا فيه بين الجميل والقبيح أو الحسن والرديء، فالجمال في مفهومية الفلاسفة "صفة الأشياء التي تبعث في النفس السرور والرضا والقبول، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم؛ أعني الجمال والحق والخير، والمفهوم الفلسفي للجمال لا يختص في ميدان القيم الفنية، وهذا ما يجعله يختلف عن مفهوم الأخلاق الذي يبحث في السلوك القويم..."[(١)]. ويتضح من خلال هذا المفهوم تصوّر عن فكرة الجمال وربطه بالخير والقيم دون أن يتخذ نظرية فنية لها تصورها الواضح، بل قد اختلف الفلاسفة في رؤيتهم لعلاقة الجمال بالفن، وقد كانت هذه الآراء في مرحلة مبكرة[(٢)]. ويكمن الجمال في الجوهر، ومن هنا يختلف الناس، فبعضهم يفضلون الجمال الظاهري/الخارجي، الذي يبهرهم مباشرة دون عناء أو جهد، بخلاف الجمال الداخلي الذي يرتبط بالتجارب والواقع؛ فلا يكتشف إلا من خلالها، وبذلك يكون سرّ الجمال في الأدب ما يمنحه الأديب لعمله من ذاته وشخصيته وإنسانيته وتجاربه.

وهناك من يعرف علم الجمال؛ بأنه "علم يدرس طبيعة الإحساس الفني وما

(١) حمادة تركي زعيتر، "جماليات المكان في الشعر العباسي". (ط١، عمان: الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م)، ص٢٥.

(٢) ينظر: عز الدين إسماعيل، "الأسس الجمالية في النقد العربي". (د. ط، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ)، ص١٤.

يبعث الجمال في شكل من أشكال الفن أو التعبير"[١]. ولعلّ الجمالية أوسع من علم الجمال؛ لأن الجمالية تظهر من خلال تمظهرات وصفات تصف شيئا ما/مقاربة نقدية، تحدد وتصف الجميل، بينما يقتصر الجمال على الشعور بالرضا والسرور؛ لأنه يتخذ مفهوم الفكرة/الجمال، دون تصور لهذه الصفات، يعضد ذلك خضوع الجمال للجانب الذوقي، واختلافه في تصورات الناس، ولذلك هناك من يفرق بين الجمال والجميل والجمالية[٢]. –وهي قراءة جيدة في بابها–. فالجمال: مفهوم فلسفي أبدي متعال عن التجليات والواقع، يرتبط بالعالم المثالي، ويعد مصدرا لكل جميل. والجميل: هو ذلك الشيء المدرك حسيا، فهو الصفة التي تقبل التحديد والتعيين، ويمكن تفسيرها ووصفها. أما الجمالية: فهي مجموعة الأفكار والأحكام والإجراءات المنهجية التي يحددها النقد ويسخرها لعملية اكتشاف الجمال في النص الأدبي، إذن الجمالية بهذا التصور؛ مجموعة من الإجراءات النقدية التي تُستخدم؛ لاقتناص الجمال في النص. وبذلك نستطيع القول: إن مفهوم الجمالية من خصائص الأدب؛ ينظر إليه بوصفه تجربة إنسانية ذات حمولات دلالية لها أبعادها المتعددة. فـ"الأدب مما ينتهي إلى الأشياء الجميلة، ويحسن تصويره للأشياء...، حتى يميز الجميل من الكلام من غير الجميل"[٣].

٢– المكان والمفاهيم المجاورة:

أ– المكان:

شغل المكان اهتمام الفلاسفة، فتصوره أفلاطون بأن المكان هو "الحاوي

(١) جبور عبد النور، "المعجم الأدبي". (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص٨٦.

(٢) ينظر: مثنى محمد، "مفهوم القيمة بين الجمال والجميل والجمالية". (رسالة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد، د.ت)، ص١٠.

(٣) عبد الملك مرتاض، "نظرية النص الأدبي". (ط٢، الجزائر: دار هومة، ٢٠١٠م)، ص٢٠٠.

للأشياء"[١]. وتوسع في تعريفه أرسطو، ليرى أن "المكان موجود ما دمنا نشغله ونتحيّز فيه، ويمكن إدراكه عن طريق الحركة، التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر"[٢]. وقد اهتم به الفلاسفة، مثل: الكندي والرازي وغيرهما، فلم يختلف مفهومه عندهم عن المفهوم الفلسفي، وفي الفلسفة الحديثة؛ يرى "ديكارت" أن المكان هو ماهية الأشياء وجوهرها[٣]. وهذا يدل على تصور الفلاسفة للمكان، ومدى العلاقة بين المكان وبين الإنسان والأشياء، فهذه الفلسفة أعطت التصورات في بناء جماليات المكان؛ فلا يمكن تصور حكاية بلا مكان، فهو المؤثر في العناصر المكونة للخطاب الروائي، ولذلك يعرفه بعضهم بأنه "الجغرافية الخلاقة في العمل الفني"[٤]. والمكان هو الذي يؤسس المحكي في العمل الروائي؛ لأن الأحداث تحتاج إلى الأمكنة، وقد أشار لحمداني إلى هذا، فالمكان: "هو الذي يؤسس الحكي في معظم الأحيان؛ لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[٥]. وهنا إشارة إلى المكان التخييلي الذي يختلف عن الواقع، فالمكان الروائي؛ هو فضاء تخييلي مصنوع من الراوي، تجري فيه الأحداث، ويتخذ المكان أهميته؛ كلما قام بدوره في العمل الروائي وحسن توظيفه من قبل الراوي؛ ليشارك العناصر الأخرى، مثل: الزمن والشخصيات...، ومن أهم مَن أعطى المكان دلالة في الخطاب الروائي؛ "غاستون باشلار"، وبخاصة المكان

(١) حمادة تركي زعيتر، "جماليات المكان في الشعر العباسي"، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) مهدي عبيدي، "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة". (د. ط، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م). ص٢٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٩.

(٤) ياسين النصير، "الرواية والمكان". (د. ط، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦م)، ص١٧.

(٥) حميد لحمداني، "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م)، ص٦٥.

الأليف الذي ولدنا فيه، ومن هنا ساهم في تطور مفهومية المكان وجمالياته[١]. وقد صاحبه إشكالية في توظيف مصطلح المكان في الخطاب الروائي عند النقاد العرب؛ سأشير إليه بعد حين.

ب– الحيّز:

من المصطلحات المجاورة للمكان؛ الحيّز: وهو يشير إلى الأمكنة المحدودة في العمل الروائي بخلاف الفضاء، فيطلق الحيّز على "التضاريس المكانية المحدودة بحدود معينة في النص الأدبي سواء أكانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية، واقعية أو فنية، وتتمثل هذه التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النص الروائي"[٢]. ولعل دلالة الحيّز انطلقت من المفهوم اللغوي؛ فمن حاز شيئا، شملت حيازته كل الموجودات التي في داخله، فهو محدد ومعين[٣].

ج–الفضاء:

من المفاهيم المجاورة للمكان؛ الفضاء وهو المكان الواسع، ويرتبط الفضاء والأدب بعلاقتين: "الأولى: تكوينية قائمة في تكوين النص الأدبي، والثانية: مضمونية قائمة في موضوعه"[٤]. ويرى محمد القاضي أن المقصود بالفضاء في القصص؛ الفضاء

(١) ينظر: غاستون باشلار، " جماليات المكان". ترجمة: غالب هلسا، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م). ص٣١.

(٢) مبروك مراد عبد الرحمن، "جيوبوليتكا، النص الأدبي". (ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م)، ص٨.

(٣) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ١٣/ ١٧٦.

(٤) لطيف زيتوني، "معجم مصطلحات نقد الرواية". (ط١، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ٢٠٠٢م)، ص١٢٧.

التخيلي والمعطيات التي لها صلة بالأعمال المتخيلة[١].

ومن هنا فقد اختلف النقاد في المصطلحات التي تطلق على المكان؛ فظهر مجاورا لعنصر المكان؛ الحيّز والفضاء والموقع، فأعطى سعيد يقطين للفضاء ميزة الاتساع والمدى المفتوح والخيال الواسع، فيقول: "إن الفضاء أعم من المكان؛ لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي وإن كان أساسيا إنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمجسد لمعانقة التخييلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء"[٢]. كما يرى عبد الملك مرتاض أن الفضاء؛ هو المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب، جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر، فلا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كُتبت منذ ثلاثين عاما، وقد جاء استعماله نتيجة المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة وخصوصا الفرنسية والإنجليزية[٣]. وربما جاء هذا الرأي؛ نتيجة للكتابة الروائية؛ التي شكّل فيها الفضاء الروائي الجوهر والأساس. وذهبت سيزا قاسم إلى أن مصطلح المكان كان أكثر استعمالا في الدراسات النقدية العربية؛ لاتساقه مع لغة النقد العربي[٤]. بينما يرى لحمداني أن المكان يتخذ أربعة أشكال: الفضاء كمعادل للمكان والفضاء النصي والفضاء الدلالي والفضاء كمنظور، وبذلك يكون الفضاء "أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء،

(١) ينظر: محمد القاضي، مجموعة مؤلفين، "معجم السرديات". (ط١، تونس: الرابطة الدولية للناشرين، ٢٠١٠م)، ص ٣٠٦.

(٢) سعيد يقطين، " قال الراوي البنايات الحكائية في السيرة الشعبية". (ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م)، ص٢٤٠.

(٣) ينظر: عبد الملك مرتاض، "نظرية النص الأدبي". مرجع سابق، ص١٢٢.

(٤) ينظر: يوري لوتمان، "مشكلة المكان الفني". ترجمة: سيزا قاسم، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث للنشر، ٢٠٠٠م)، ص٧٦.

وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة؛ فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، فهو العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية...، فهو شمولي إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي"(١). هذه بعض الآراء التي تشكلت حول مصطلح المكان؛ وهي تصورات لها قيمتها العلمية، وإن كنا نحتاج إلى رؤية تنظيرية توحد المفهوم، لتنطلق منها المصطلحات النقدية، ولعل مصطلح المكان؛ هو الأقرب لتحديد هوية العمل الأدبي، ولا مانع أن يكون المكان هو مكون الفضاء الذي تجري فيه الأحداث والأزمنة والشخصيات...، كما أن المكان يرتبط بالحالة النفسية، ومنها تتنوع الأمكنة؛ فتعكس حالتها على الذات، كما يقوم على التشخيص في العمل الروائي والتعيين؛ ومن هنا تبرز دلالة وصفه بالمكان، فلا يمكن تصور أيّ حدث إلا ضمن إطار مكاني محدد. وقد أصبح المكان مع الذات في علاقة تلازمية؛ وهذا ما يدل على أهميته لفظا ومعنى.

٣– أهمية المكان وأقسامه:

للمكان أهميته في حياة الإنسان، ولا يقتصر النظر إليه بوصفه مكانا هندسيا، بل يتجاوز ذلك إلى البعد الذهني؛ لتتحدد العلاقة بينه وبين الإنسان في إطار التأثر والتأثير، فيصبح المكان بعضا من الذات والذات بعضا من المكان، فهو الذاكرة والحلم، هو " كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"(٢). ثم العلاقة بالمكان لا تقتصر على مجرد الانتماء الجغرافي أو الإطار المكاني الذي نعيش فيه، بل تتسع لتشمل البعد الإنساني في كل مكان، فالإنسان ترتاح نفسه في المكان المناسب، ويكتسب المكان قيمته لديه، وإذا فُقدت هذه الراحة فيه؛ أصبح المكان دون قيمة،

(١) حميد لحمداني، "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"، مرجع سابق، ص٦٢–٦٣.
(٢) غاستون باشلار، "جماليات المكان". مرجع سابق، ص٣٦.

وينجذب الإنسان نحو المكان –حتى ولو كان مكانا خياليا– عندما يمنحه الشعور بالأمان، ويترك أثره على ذاته؛ ليحدث التفاعل بين المكان وصاحبه.

وعن أهميته في العمل الروائي؛ فيعد المكان مكونا أساسيا في العمل الروائي، ولا ينظر إليه بوصفه مسرحا للأحداث أو الشخصيات فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الفنية العالية التي تصور الأحداث والسلوكيات بكل أبعادها الذاتية والاجتماعية والتاريخية، وتجسد صراع الإنسان مع الأمكنة، ودلالات رمزية التآلف معها أو التنافر عنها، والمكان في العمل الروائي مُهما بفضل بنيته والعلائق مع العناصر الأخرى، ليصبح مؤسس الحكي أو المادة الحكائية، فيتحول من مفهوم إلى مكون جوهري في الوظيفة الحكائية؛ ليقوم بالتشخيص الذي يجعل القارئ؛ يكتشف أبعاد المكان، ودلالاته وانعكاسه على الشخصيات، ويفرّق بين الواقعي والخيالي من خلال البناء اللغوي الذي يصنعه الروائي؛ لأغراض التخييل. فالمكان الروائي؛ "علامة مفتوحة على العالم الخارجي، والعالم الدلالي والثقافي، على أن هذه الدلالة مرهونة بالسياقات التي تقرأ فيها والقارئ الذي يقوم بفعاليات القراءة النصية"(١).

–أقسام المكان:

يقسم المكان الروائي؛ نظرا إلى عوامل متعددة، وسوف أشير إلى هذه التقاسيم، ثم أحدد النوع الذي سرت عليه في هذه الرواية:

أ– تقسيمه من حيث طبيعة تكوينه:

يقسم بهذا المنظور إلى المكان الطبيعي: ويقصد به الذي لم تتدخل يد الإنسان في تشكيله، فهو المكان المتشكل أزليّا، مثل: البحار والأنهار والحدائق والبساتين...،

(١) خالد حسين، "شؤون العلامات: من التشفير إلى التأويل"، (د. ط، د. م، التكوين للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م)، ص١٦٧.

والمكان الصناعي: وهو الذي تدخلت يد الإنسان في تشكيله، مثل: البيوت والغرف، وكل ما تشكل هندسيا وساهم الإنسان في معماريته...

ب- تقسيمه من حيث الإحساس به:

ويقسم بهذا المنظور إلى المكان الأليف: الذي تتفاعل فيه الشخصية وتألفه وتحبه، وهو يخضع للشعور والدواخل والعاطفة، وتختلف فيه الشخصيات، كما تؤثر فيه التجربة المكانية التي رافقت الشخصية، مثل: المكان الذي ولد فيه الإنسان، وترعرع فيه بكل أبعاده؛ البيت، الغرف، الزوايا، أيّ: كل مكان عشنا فيه وارتبط بالذاكرة، بيت الطفولة والذكريات والأحلام، فهو أكثر الأمكنة ألفة ومحبة...، ونحن نعود بالذاكرة إلى ذلك المكان؛ "نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه وبينما نحن في أحضان الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي، هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله، سوف نعود إلى الملامح الأُمومية للبيت"(١). والقسم الثاني: المكان المعادي: وهو المكان الذي لا يشعر فيه الإنسان بالألفة، فهو مناقض للمكان الأليف؛ وهي أماكن قد يقيم فيه الإنسان لسبب ما، كالسجن والمنفى، أو يشعر فيها بالخطر والخوف؛ مثل: الصحراء والبحر...، وهذه الأماكن مع تجربة الإنسان لها تولد لديه شعورا معاديا، فيظهر على الشخصية عدم الطمأنينة؛ ليزداد شعور الكراهية نحو هذه الأمكنة.

ج- تقسيمه من حيث المساحة:

وينطلق هذا التقسيم من المساحة؛ وهو نوعان: المكان المفتوح: وهو الواسع المشاع للجميع، فحدوده متسعة، ومساحته مفتوحة، مثل الشوارع والمدن والقرى والصحراء، وسيأتي أن الاتساع هنا قد ينتقل إلى الذات أو العكس، أي: يكون

(١) غاستون باشلار، "جماليات المكان"، مرجع سابق، ص٣٦.

المكان مرتبط بالذهن، فيشعر بالضيق حتى ولو كان المكان متسعا مفتوحا، والنوع الثاني: المكان المغلق: وهو المكان المحدد في مساحته، مثل: البيت والمشفى والفندق والسيارة...، أو الذي يخص الإنسان، مثل: غرفة نومه أو مجلسه الخاص ونحو ذلك، وهنا تتجلى تلازمية الإنسان مع المكان وعلاقته. وهذا التقسيم هو الذي سرت عليه في هذه الرواية؛ لأن هذه الثنائية هي التي غلبت على العمل الروائي؛ فالصراع بين الشخصيات وبين هذه الأمكنة أبان عن الدلالات النفسية والاجتماعية...، وكشف عن نوع الشخصيات وتشظيها في علاقتها بالمكان، فالشخصية تنتقل بين هذه الأمكنة من اتساع إلى ضيق والعكس، وهنا ثمة صراع نفسي وواقعي، وتفاعل مع الحياة يتناوب بين هذه الأمكنة، وهذه الأمكنة هي مسرح الأحداث؛ فالبيت مكون من مكونات العلاقة الأسرية أو الجماعة المصغرة، لتعكس هذه العلاقة مع مسرحة المكان صراعا في الأفكار والقيم. وأشير هنا إلى أن هذه التقسيمات قد تتداخل؛ فالألفة والمعاداة للمكان تظهر في المكان المفتوح والمغلق، وكذلك من حيث طبيعة المكان؛ فالطبيعي والصناعي، منظور في هذا التقسيم؛ بالنظر لمكونه الأصلي، وإنما أشرت لهذه التقسيمات لتداولها وأنواعها في المكان الروائي.

٤– مفهوم الرواية:

تعد الرواية من الفنون الأدبية التي أخذت حقها من الأهمية والنظر والتأمل والاهتمام من النقاد، ومن هذه التعاريف، هي: "نص نثري تخيّلي سردي واقعي – غالبا– يدور حول شخصيات متورّطة في حدث مهم، وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة"(١). ويعرفها مرتاض بـ: "نقل الراوي لحديث محكي تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول، كاللغة والشخصيات

(١) لطيف زيتوني، "معجم مصطلحات نقد الرواية"، مرجع سابق، ص٩٩.

والزمان والمكان والحدث، يربط بينها طائفة من التقنيات، كالسرد والوصف والحبكة والصراع"[١]. وأغلب الأوصاف قريبة من هذا التعاريف، وتدور حول هذا المفهوم، والرواية تعكس عالما من الأحداث والوقائع المتداخلة والمتشابكة، وتقوم على عنصري الزمن والأمكنة...، ويمازجها شيء من الغموض والإثارة...، فهي جنس أدبي له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية، فتختلف الرواية عن الأسطورة؛ لأن كاتبها معروف غير مجهول، وتختلف عن الخبر التاريخي؛ لأنها وحيّ من الخيال، وتختلف عن الملحمة؛ لأنها من الأجناس النثرية، وتختلف عن الحكاية والأقصوصة؛ لأنها عمل أطول منهما، وتختلف عن الخبر؛ لأنها بنية سرديّة معقدة[٢]. وربما يقال: إن الرواية تتخذ في كل عصر مضامين وخصائص تختلف عن خصائصها في عصر سابق[٣]. ولعل في هذا القول إشارة إلى الرواية الحديثة.

(١) عبد الملك مرتاض، "النص الأدبي من أين؟ وإلى اين؟"، (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٦٦م)، ص٢٦.

(٢) ينظر: عبد الحميد قسومة، "تجليات الزمن الروائي"، (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ٢٠٠٨م)، ص٥.

(٣) ينظر: عبد الملك مرتاض، "في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد". (د. ط، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٨م)، ص٣٧.

المبحث الأول: أنواع المكان في رواية: أوراق المورينجا

– مضمونية رواية: "أوراق المورينجا":

رواية "أوراق المورينجا"(١) للقاص: محمد المستنير(٢). تدور أحداث هذه الرواية بين الهند "كيرلا" وبين السعودية، "الرياض"، حيث كثرة الأمكنة وصراعها مع الذات مما جعلها مسرحا للأحداث المتعددة بأسلوب تسلسلي، لتناقش بعض الظواهر الاجتماعية بأسلوب القصة؛ لتحلق في سماء الخيال وشيء من الواقعية، وقد أحسن القاص في تشخيص الأمكنة؛ ليجعل من أحداثها ما يحتمل الوقوع...، بطل هذه القصة (روشان الهندي)، شخص مكافح ذكي، أجبرته ظروفه المادية على ترك مقعده الدراسي في جامعة (كوتشين في كيرلا)، ليحدث الصراع الذاتي مع النفس...، التقى

(١) محمد المستنير، رواية "أوراق المورينجا". (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٧م).

(٢) محمد بن علي المستنير، كاتب وقاص سعودي، ولد ونشأ في منطقة نجران. حاصل على الماجستير في الإدارة المالية من جامعة "وينثروب" بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠١٢م، وبكالوريوس في الإدارة المالية من جامعة ولاية "آيداهو" بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠١٠م. شغل منصب رئيس نادي الطلبة الدوليين في الجامعة نفسها عام ٢٠١٠م. مؤلفاته: "بعثرات مبتعث"، ٢٠١٤م، قصة واقعية تدور أحداثها في بلاد الغربة. و"بالمقلوب"، كتاب يناقش بعض الظواهر الاجتماعية بأسلوب قصصي. ورواية "أوراق المورينجا"، ٢٠١٧م. من رسالة وصلتني من الكاتب، بعنوان: السيرة الذاتية، مؤرخة بـ ٢٠٢٤/٩/١م.

روشان بصديقه إبراهيم الذي يعمل في مطعم، وله علاقاته ومعارفه، ليتعرف "روشان" على شاب يدعى ناصر...، ومن هنا انتقلت أحداث الرواية إلى السعودية؛ ليواجه البطل محطات مختلفة تتشابك فيها الأحداث مع العلاقات والأصدقاء...، وتتنوع فيها الأمكنة بين البيت والجامعة والمطارات والسجن...، ليصل في نهاية القصة؛ طلب المساعدة من صديقه إبراهيم الذي أصبح من أكبر تجار المدينة...، وقد اتخذت القصة الرمزية العنوانية؛ لتدل على المكان، فـ "المورينجا" شجرة يكثر وجودها في تلك البلاد، بل قد تكون هي موطنها الأساس، ولنبات هذه الشجرة فوائد كثيرة، تشير إليها كتب الطب، كما أن شجرة "المورينجا" تتخذ رمزا حضاريا قديما لديهم، وقد وجدت في البلاد العربية وغيرها، وقد تتخذ مسميات متعددة. وكلمة "أوراق المورينجا" أضافت دلالة تعددية؛ ساهمت في المستوى الدلالي على التسلسل الروائي؛ فكأن كل ورقة تأتي بعدها الأخرى، لتؤدي دورها بهذا التراتب.

المطلب الأول: الأماكن المفتوحة

تسمح الأماكن المفتوحة للشخصيات أن تنتقل بحيوية وحركة واسعة، فهي تشكل فضاء رحبا، ومسرحا لحركة الشخصيات عندما تغادر مكانها الثابت أو المغلق، وتتخذ هذه الأماكن المفتوحة تمظهرات متنوعة، تختلف في شكلها وأنواعها، وتبرز أماكن على حساب أخرى، كما أن المكان المفتوح يلتقي فيه أنواع من البشر، يختلفون في طباعهم وأشكالهم وأعمارهم؛ ومن هنا يتميز المكان بالحركة الدائمة، والتشاركية المجتمعية، وتكمن أهميته في كونه ملتقى الشخصيات الروائية، ومسرحا للأحداث، فترتبط الشخصية بالمكان بتأثيراته المتعددة؛ ليدلل على حال هذه الشخصية وعلاقتها بهذا المكان، ويرتبط المكان بتصورات ذهنية؛ تدلل على الحالة

الداخلية التي قد تكون هي المحدد لنوع المكان. ومن أبرز الأماكن المفتوحة التي وردت في هذه الرواية:

١- المدينة:

وهي فضاء جغرافي مفتوح، يضم تجمعات سكانية متعددة، وتجمع شخصيات لا رابط بينها، وفيها اتصال بالعالم الخارجي، وهي: "مجموعة من المسافات، لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية..."(١). وقد تعددت المدن في هذه الرواية:

- كوتشي: منطلق البطل وبداية حياته وتكوناتها، ومسقط رأسه، "تقع مدينة "كوتشي" بولاية كيرلا في المنطقة الاستوائية على الساحل الجنوبي لشبه القارة الهندية..."(٢). وتحضر هذه المدينة في الرواية؛ رمزا للتسامح والتقارب، فهي مدينة متنوعة في سكانها ومذاهبهم وأشكالهم..."كانت مدينتنا ولا تزال رمزا للتسامح والأخوة، فيها ديانات الأقلية المسلمة والمسيحية...مع الأغلبية لسكان كوتشي من الديانة الهندوسية..."(٣)، وقد اتخذ الراوي الوصف لهذه المدينة؛ ليبرز ارتباط الشخصيات بهذه المدينة، وبخاصة في المناسبات التي يجتمع فيها الناس، "ففي شهر رمضان المبارك تجد المسلمين يعيشون الأجواء الروحانية دون مضايقات، في النهار ينشغل الجميع بكسب الرزق، بينما النساء يحضرن الإفطار الجماعي...، تُزين الفوانيس الرمضانية المحلات والمطاعم؛ لمشاركة المسلمين أفراحهم بقدوم الشهر

(١) الشريف حبيلة، "بنية الخطاب الروائي". (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ص٢٥٧.

(٢) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١١.

(٣) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١٤.

الفضيل...، وفي أيام العيد؛ يلبس الجميع أفضل الملابس..."[١]. كما حضر وداع هذه المدينة "كوتشي"، قبل الذهاب إلى السعودية؛ لتظهر ملامح الفراق على وجه البطل، "في الأيام الأخيرة لي في مسقط رأسي، "كوتشي"...، بدا واضحا للجميع الحزن الذي ظهر على ملامح وجهي؛ لمفارقتهم..."[٢]. ولكون هذه المدينة منطلق الأحداث؛ فكان من الطبيعي هذا الوصف العام لهذه المدينة وعلاقة البطل ببيئته، وسيأتي تفصيل لهذا الوصف.

– بومباي: وردت لكونها مدينة كبيرة، مدينة عمل بعيدة، يمثل المجيء منها فرحة للأهل بعد اغتراب، وقد عاشت فيها أخت البطل؛ "فتحت أمي الباب لأختي القادمة من بومباي، كانت ملابسها مبتلة بالماء، فلم تسعفها مظلة المطر لحمايتها أو حماية حقيبتها...، بدت أسنان أمي بارزة وابتسامتها تشق وجهها لرؤية ابنتها...، دخل الجميع غرفة الجلوس، تبادلت النساء الأحاديث قبل أن يأتي والدي..."[٣]. وهنا أخذت الشخصيات في الحديث عن تلك المدينة؛ لمنتصف الليل، وهذا الوصف يدلل على كمية الأحداث والمواقف التي تختزنها الذاكرة من حياة المدينة، "لم يمكث أبي طويلا حتى استأذن للنوم، بينما عادت النساء لمواصلة حديثهن..."[٤].

– الرياض: حضرت مدينة الرياض بعد انتقال البطل إليها، لتمثل مفارقة له في الحياة، حيث البيئة العمرانية والحضارية والمعالم التراثية...، ومن هنا اختلف المكان

(١) المصدر السابق، ص١٤.

(٢) المصدر السابق، ص٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص١٥.

(٤) المصدر السابق، ص١٥.

على الشخصية، وحدث الصراع مع الذات، وقد جاء البطل في الرواية "روشان" للعمل فيها، "الأيام تمضي سريعا وكأنها على عجلة من أمرها؛ لتفضي بما لديها من أسرار وتجارب جديدة، سأخوض تفاصيلها المثيرة حين قدومي إلى السعودية...، في الهند كنت أعيش حالة غير مستقرة حيث تختلط مشاعر الفرح بقدوم ابنتي الأولى بمشاعر حزنٍ على مفارقتها..."(١). وقد جرت أحداث البطل في مدينة الرياض؛ بعد قدومه للعمل سائقا خاصا، "بعد مشوار قصير المسافة، طويل المدة في زحمة شوارع الرياض، وصل عامر...، أخبر عامر عائلته بقدوم السائق الجديد..."(٢).

٢- القرية:

تحضر القرية في الرواية من منطلق الصراع القائم بينها وبين المدينة؛ حيث تمثل القرية الهدوء والراحة وذكريات الصبا والطفولة وملتقى الفسحة للخروج من المدينة؛ كلما سمح الوقت، وقد كان "روشان" يخرج للقرى بتوجيه من أبيه؛ ليلتقي بالأقارب والأصدقاء، وتصف الأحداث الأمكنة حسب وضعها، فالشخصيات في القرية ذات متطلبات يسيرة، تهتم بما يسد الحاجة، "تقدمت بضع خطوات إلى أن وصلت إلى والدي.

- نعم يا أبي ما الخطب؟

لقد وصلني أن تاجر المدينة سيأتي غدا، وسيتم توزيع بعض المؤونة والمواد الغذائية على فقراء قريتنا والقرى المجاورة.

- يجب أن تذهب في الصباح الباكر.

(١) المصدر السابق، ص٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص٦١.

سمعا وطاعة يا أبي.

كان سكان القرية يترقبون وصول ذلك الرجل..."[١].

٣–الحي:

يشكل الحي مكانا مهما في العمل الروائي؛ وهو أكثر حيوية من حيث الترابط المجتمعي، وهو مكان تتناسل منه الذكريات؛ لأنه غالبا أطول مدة يقضي فيها الإنسان وجوده، قبل الانتقال لمكان آخر، وقد حضر الحي في الرواية من منطلق المكان، الذي سكن فيه البطل، وجرت فيه بعض الأحداث، وشكل منطلقا للتعرف على الأحياء الأخرى، "إنه اليوم الأول لوجودي كجسد في السعودية وبالتحديد في حي الروضة القابع في شرق العاصمة، أما روحي فقد غمرني إحساس غريب وشعور مثير؛ يشدني إلى هذه الأرض الطيبة، وكأنني قد عشت هنا في حياة سابقة...، طلب عامر بأن أتجهز لجولة في أحياء الرياض..."[٢]. وهنا بدأ التعارف مع الشخصيات: "أنا ناصر، أسكن في الحي نفسه، ولقد رأيتك بضع مرات بالجوار؛ يبدو أنك عامل جديد..."[٣]. ونلحظ في هذه الأمثلة؛ أن شخصية البطل أخذت في التحاور مع بقية الشخصيات، وهذا يدل على البحث عن الأصدقاء والتعارف، كما عبرت الشخصية عن شعور الارتياح للمكان.

٤– الشوارع والطرقات:

الشوارع أماكن مفتوحة، وهي من أبرز علامات المدينة التي تتحرك فيها

(١) المصدر السابق، ص٢٣.

(١) المصدر السابق، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٨٢.

الشخصيات وتجري فيها الأحداث، وهي أمكنة مرور وتوقف وانطلاق، تنتقل فيها الشخصيات وتقوم على أنظمة ينبغي مراعاتها، وهي من العلامات التي تتشكل في الخطاب الروائي؛ لتمثل طريقة التعاطي مع المواقف؛ حيث الزحام والتفاعل مع الآخرين، وقد وظّف الكاتب هذه الطرق؛ لتكون مسرحا للأحداث والوصف؛ "انعطفت السيارة يمينا إلى طريق "خريص" المزدحم...، وعامر يشير بيده تارة إلى اليمين وتارة إلى اليسار؛ ليعرّفني على الأماكن والمباني؛ آملا في أن أتذكر كل تلك المعلومات أو شيئا منها..."(١). "على رأس الشارع، سيارة حمراء تنعطف يمينا، شباب مراهقون، يرهقون السيارة الصغيرة بإزعاجهم وصوت المسجل العالي...، تقترب السيارة مني أكثر فأكثر..."(٢).

٥- السوق:

هو مكان عام للشراء والتسوق، وأصبح السوق مكانا للقاء وتبادل الأحاديث، فهو ينفتح على العالم الخارجي، فحركته مستمرة، وتبرز فيه ظاهرة الزحام، وتشكل الأسواق ظواهر حضارية، استثمرتها الرواية؛ لتصف لنا هذا المكان وعلاقته بالشخصيات، وقد جاء مكانا مكرورا في هذه الرواية؛ حيث عمل البطل يتطلب التنقل بين كثير من الأمكنة، ومنها السوق، "خارج المجمع التجاري...، وأنا واقف أمام السيارة، تبادلت الحديث مع أحد السواقين الأجانب، ولكن الوقت طال حتى نفذت كل المواضيع التي يمكن لشخص أن يشاركها مع غريب، جمعنا هم الغربة

(١) المصدر السابق، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص٩٦.

والحنين إلى الوطن، ولكنني كنت أفضل حالا من المقيم الآخر من حيث معاملة الكفيل وأهله...، ومن أمام بوابة المجمّع، سيارات الأجرة تسد المكان...، ومن بين الزحام، خرجت هند وأمها وأسرعتُ نحوهما لأحمل الأكياس الكثيرة"(١).

٦–المزرعة:

تحضر المزرعة في الرواية هنا مسرحا متنفسا للشخصيات؛ لما تمثله من بيئة ريفية تسر الناظرين، وتمنحهم سكونا يريحهم من ضجيج المدينة، وهي ملتقى لشخصيات الرواية، كما أنها تمثل إحدى الأمكنة التي عملت فيها الشخصية، "أمام بوابة المزرعة، يضع الحارس كرسيا خشبيا يجلس عليه حين يرهقه الوقوف...، تعرفت إلى عملي الجديد بعد أن أخذني الرجل الذي لا يتحدث كثيرا بجولة حول المزرعة ثم غادر المكان..."(٢). وترتبط المزرعة بالذاكرة؛ ولذلك يكثر التعالق المكاني مع النفسي، كما أظهرت الشخصية حبها للمكان، فتخيّرتْ من الألفاظ ما يدل على ذلك؛ فجاء على لسان الشخصية؛ "... مشينا بين أشجار كثيفة...، أصوات الطيور تتشابك في الهواء، فتهطل أنغاما تطرب لها الآذان"(٣).

المطلب الثاني: الأماكن المغلقة

تنطلق هذه الأمكنة من الإطار المحدد أو المساحة التي حُددت مكوناتها، وهذا يعني أنه يتصف بالتحديد، لكن لا ينفي انفتاحه على أمكنة أخرى، ويغلب على هذه الأمكنة؛ أنها أمكنة سكن؛ يقضي فيها الإنسان أوقاتا طويلة، سواء بإرادته أم

(١) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص٣٠.

بإرادة الآخرين، فهو مكان مؤطر بحدود جغرافية[١]. ومن الأمكنة التي توصف بذلك في هذه الرواية:

١- البيت:

يعد البيت مكانا مهما في حياة الإنسان؛ فيأوي إليه من العالم الخارجي بعد خروجه؛ ليجد راحته وأهله وذاته، وله تسمياته؛ التي منها: المنزل والمسكن والدار والقصر، ومفاهيمه؛ التي منها: الاستقرار والراحة والسلام والهدوء، ودون البيت "يصبح الإنسان كائنا مفتتا"[٢]. وقد جاء البيت في الرواية قائما على الوصف؛ لتعدد الأدوار التي تقوم بها الشخصيات، كما وصفت أحواله ومداخله، "بيت صغير تقدّم به الزمن فأُصيبت جدرانه بشروخ وتشققات بارزة وأبواب خشبية بعضها بلغ من العمر عتيّا ولم تعد أقفاله صالحة للاستخدام سوى مفتاح الباب الخارجي، الذي لا يزال صامدا..."[٣]. "تقوم أمي بكل أعمال المنزل من طهو وتنظيف وترتيب"[٤]. كما يقوم المكان/البيت بتوظيف عنصر الاجتماع الذي هو من أهم مفاهيمه، "مساء ذلك اليوم وبينما كل أفراد عائلتي في المنزل، فـ"أليشا" لا يكف لسانها عن الثرثرة، وهي تواصل حديثها لوالدي..."[٥]. "عدتُ إلى المنزل، كان والدي قد عاد من جولته اليومية، بينما كانت أمي بانتظاري؛ لمعرفة إن كنت قد فعلت ما يرضيها، أختي

(١) ينظر: مهدي عبيدي، "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة". مرجع سابق، ص٤٤.
(٢) غاستون باشلار، "جماليات المكان"، مرجع سابق، ص٣٦.
(٣) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١١.
(٤) المصدر السابق، ص١٣.
(٥) المصدر السابق، ص٢٧.

وزوجتي يقتلهما الفضول بسبب قلق والدتي..."[١].

٢- الغرفة:

الغرفة جزء من البيت، تكون لشخص أو أكثر، وهي مكان تأوي إليه الشخصيات؛ للراحة والنوم ولقضاء بعض الوقت مع الذات، وقد شكّلت الغرفة في الرواية مكانا للذكريات، وتذكر الأهل والأصدقاء، والتأمل في الحال والذات وأيام الماضي، واتخذت حيزا مميزا لنوعية الأكل والطعام...، "شعرت أنني بحاجة إلى استنشاق هواء جديد يختلف عن هواء الغرفة الممزوج برائحة الكاري والبهارات الهندية، نظرت إلى الأعلى والنجوم؛ تتلألأ في السماء الصافية لترشد الضال...، رحلت بأفكاري بعيدا بينما جسدي ظل ثابتا في مكانه، كوتد خيمة بدوي، يا ترى ما هي أحوال عائلتي؟..."[٢]. ويتجلى من خلال هذا المثال أثر المكان على الشخصية؛ فالغرفة تمثل الخصوصية؛ ولذلك جاء التعبير بهذه الألفاظ؛ "شعرتُ، رحلتُ بأفكاري، جسدي".

٣- المقهى:

يعد المقهى مكانا مغلقا؛ لأنه يتموقع في داخل مبنى، وربما مَن نظر إلى كونه مفتوحا؛ نظر إلى اللقاءات العامة التي تكون فيه، أو إلى الفناء الذي يكون خارجا عن المبنى، فيكون مكانا مفتوحا، وقد أصبح المقهى مكانا بارزا يأوي إليه الناس؛ للجلوس والاجتماع وتبادلية الأحاديث، وقد ورد المقهى في الرواية على لسان البطل؛

(١) المصدر السابق، ص٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٥-١٥٦.

منطلقا للاجتماعات ومجالا للمؤانسة، كما تأثر المكان بالشخصيات، فهناك مقهى لكبار الشخصيات وآخر لغيرهم، "خرجنا ومشينا بعيدا حتى وصلنا إلى مقهى قديم في نهاية الطريق...، كان هذا المقهى الوحيد في وسط المدينة، لم يكن مجرد مكان للمشروبات، بل كانت تعقد فيه اجتماعات كبار الشخصيات قبل أن ينتقل أثرياء المدينة إلى المناطق المزدهرة المجاورة، ويتركون المقهى لذوي الدخل المحدود...، اخترت الزاوية البعيدة لنكون بمنأى..."(١). ويأتي المقهى على لسان الشخصيات موحشا عندما يفتقد الصديق صديقه؛ "حيث المقهى الذي كان يجمعنا سويا، إلا أنه لم يجد صديقا ينصت لشكواه كما كنت أفعل...، جلس على أحد طرفي الطاولة، وحال الكرسي الفارغ المقابل؛ يسأل عن الصديق، وإبراهيم يشكو الحال: أين أنت يا روشان؟"(٢). وهذا يدل على أن بعض الأمكنة تحتاج إلى الشخصيات جميعا؛ فلا يستأنس بها إلا من خلال أحاديث الحاضرين فيها.

٤- الجامعة:

تعد الجامعة منارة العلم والمعرفة وملتقى المثقفين والمهتمين بالعلوم، وتتكون من قاعات للمحاضرات ومكاتب ومكتبات؛ تمثل حياة، يشارك أهل العلم في الملتقيات، ويجتمعون في الندوات، وقد وردت الجامعة في الرواية أمنية وحلما تراود البطل؛ "روشان"، الذي ترك الدراسة بسبب ظروفه، "عشت في ظروف مادية قاهرة، أُجبرت على ترك مقعدي الدراسي في جامعة "كوشين" للعلوم والتكنولوجيا...، تعتمد عائلتي

(١) المصدر السابق، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص٩٥.

على ما أجنيه من الأعمال اليومية التي أقوم بها بين الحين والآخر..."[١]. وهذا يدل على ارتباط بعض الأمكنة بذاكرة الإنسان؛ فقد بقيت الجامعة تراود البطل في الرواية؛ كلما تذكرها.

٥- المسجد:

يعد المسجد مكانا مريحا، يمثل حياة روحية، وهو مكان للعبادة والصلاة، وقد مثلت شخصية البطل؛ "روشان" الشعور الذي يحس به الإنسان عندما يذهب إلى المسجد، "اصطحبني عامر إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة...، انتابني خشوع وشعرت بالجو الروحاني، ثريا عملاقة معلقة في سقف المسجد والدخان المتصاعد من البخور يحلق عاليا، الأطفال ملتزمون الصمت بالقرب من آبائهم...، جلست بجوار كفيلي عامر..."[٢].

٦- المستشفى:

يمثل المستشفى مكانا لطلب الشفاء والدواء، وقد ورد في الرواية هنا مكانا لأحد شخصيات الرواية، فجاء توظيف عنصر التعاطف والاهتمام لهذه الشخصية؛ وهو العم صالح الذي عمل لديه روشان في المزرعة، وأصبح بينهما تواصل وصداقة، "سقط العم صالح بعد أن ارتشف فنجان قهوة تفوح رائحة الهيل منه، هرع الجميع لانتشاله إلى المستوصف الصغير، حمله محمد على كتفه اليمنى...، قاد محمد السيارة بسرعة، حتى وصلوا إلى طوارئ المستوصف الصغير...، وبعد ساعتين في غرفة

(١) المصدر السابق، ص١٣.

(٢) المصدر السابق، ص٨٣.

الملاحظة، ملأ الدكتور ورقة الوصفة الطبية بقائمة من الأدوية مع نصيحة شفهية بحجز موعد في إحدى عيادات القلب في المستشفيات الكبرى في الرياض"(١).

٧- السجن:

يمثل السجن مساحة مكانية يقيم فيها السجناء، وهو يتخذ معنى الإقامة التي قد تطول أو تقصر، وقد دخل البطل في الرواية السجن؛ بسبب قضية، وكونت له هذه التجربة المكانية ميلادا جديدا، وقد اتضح من هذا التوظيف تأثير المكان على الشخصية؛ "خرجت من السجن وكأني ولدتُ من جديد...انهمرت دموعي بين يديّ عامر؛ طالبا منه مسامحتي...، هاتفت أهلي وأخبرتهم بأنني كنت في السجن..."(٢).

٨- المطعم:

يمثل المطعم مكانا للأكل والشرب، إلا أنه يتخذ دلالة الاجتماع واللقاء، فيصبح مكانا محببا؛ يجمع بين الأحاديث وبين أداء الطعام، وقد كثر ذكر المكان في الرواية؛ لتوافقه مع طبيعة عمل بعض الشخصيات، ولكونه مكانا يلتقي فيه الراوي ببعض الشخصيات، "مررت بجانب المطعم الذي يعمل فيه إبراهيم منذ سنوات، ويحلم بأن يصبح مالكا لأحد المطاعم بدلا عن العمل..."(٣).

٩- السيارة والطائرة:

هما وسيلتا تنقل، وقد كثر ذكر السيارة في الرواية؛ لطبيعة عمل البطل الذي

(١) المصدر السابق، ص١٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥.

يستخدمها؛ لكونه سائقا خاصا، ويرتبط السائق بسيارته؛ لتصبح مكانا محببا لديه، يُكثر فيه الجلوس أحيانا، ويهتم به، "خرجت إلى السيارة ما إن فتحت باب السائق حتى اتسعت عيناي إلى أقصاهما وأنا أرى أوراقا مبعثرة في السيارة؛ دليلا على عبث أيد غريبة بداخلها..."(١). وقد ساهمت السيارة في تعدد الأحداث؛ من خلال التنقل المتعدد؛ الذي تمارسه شخصية البطل، كما مثلت الطائرة مكانا مخيفا في الرواية؛ لبعد المسافة بين المكانيين، وربما لتجربة البطل الأولى لها، فكونت صراعا مع الذات؛ حتى وصف المكان، بـ"ما بين السماء والأرض، مضى ذلك الوقت الكئيب بسبب فراق عائلتي، واستبدّ بي الرعب لكثرة تأرجح الطائرة في السماء، بدا الهلع عليّ وأنا ألتفت يمنة ويسرة، بعدما أيقظتني المطبات الجوية، ماذا لو سقطت الطائرة !..."(٢). وهذا الوصف ساعد في نمو الحدث الذي كشف عن جوانب من شخصية البطل؛ تمثل في هذا الحديث مع النفس.

هذه أنواع المكان المتجلية في هذه الرواية؛ من حيث الانغلاق والانفتاح، ونلحظ كثرة الأمكنة المغلقة؛ وذلك لطبيعة التماس معها وعلاقة القرب التي تربط بين الشخصية وبين هذه الأمكنة، لتكوّن حاجيات ضرورية في العلاقة والتواصل، وسيتضح ذلك أكثر في علاقة المكان بالعناصر الروائية الأخرى.

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص٦٨.

المبحث الثاني: المكان والعناصر الروائية الأخرى

سيتحدث البحث في هذا المبحث عن هذه العلاقة؛ التي ستنطلق من هذه المكونات:

المطلب الأول: المكان والشخصيات

تنطلق هذه التلازمية من كون الشخصية عنصر ينتمي إلى مكان، يتحرك فيه، ويؤثر في سير الأحداث، وهذا الترابط يساعد في الكشف عن حالة الشخصية، "فالمكان هو لسان لصاحبه"(١). وهذا يدلل على "أن هناك تأثيرا متبادلا بين الشخصية والمكان"(٢). فهو مسرح مفتوح؛ تعرض الشخصية من خلاله مواقفها وعواطفها وآمالها وآلامها، وتتأثر به، وتؤثر فيه، فالموجودات في المكان وأشيائه؛ هي تعبير عن أصحابها، فالبيت جزء من حياة الإنسان، بل إن للأشياء تاريخا يرتبط بالشخصيات، والمكان في يد الراوي المؤثر؛ يتحول إلى كواشف لمكونات الشخصية النفسية والاجتماعية...، ليكوّن مركزية دلالية تسهم في البناء الفني للرواية، وقد قامت الشخصية الرئيسة في الرواية "روشان" بدور محوري يقوم عليه مجرى الحكي، وهي شخصية عاشت صراعا ذاتيا وأحداثا متعددة، تمثلت في بلدها الأول الهند/كيرلا، قبل أن تنتقل إلى الرياض، وكان حضورها من خلال الأمكنة التي ذكرتْ، مثل: "كوتشي، القرية، البيت، الغرفة، المزرعة..."؛ لتتنوع الأمكنة في التجربة؛ مما ساعد

(١) حميد لحمداني، "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي". مرجع سابق، ص٧٠. وينظر: محمد عزام، "شعرية الخطاب السردي"، (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م)، ص٦٨.

(٢) حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م)، ص٣٠.

الكاتب على تقديمها بما يكشف عن حالها مع المكان، فكشف عن تعلق شخصية البطل بالمكان، فتناسلت ذكريات الطفولة؛ عندما قال: "حين كنت طفلا ألعب في باحة المنزل، وكانت والدتي تحذرني من اللعب بالقرب من أشجار المورينجا خوفا عليها من شقاوتي..."(١). كما حضر المكان على لسان الشخصية مكانا للذكريات؛ التي تحتضن الأهل والأصدقاء والمواقف التي جرت معهم؛ ومثلت الغرفة التي يسكن فيها البطل أحاديث هذه التأملات والذكريات...، وللمكان تأثيره على الشخصية؛ يكشف عن حالها، مثل: "خرج من المكان غاضبا وعروق جبهته قد برزت ووجنتاه اشتد احمرارها..."(٢). وقوله: "بدأت الطيور تهاجر إلى المناطق المعتدلة هروبا من حرارة طقس الرياض..."(٣). ومثلت الشخصية المحورية هنا علاقة طيبة مع الأمكنة وبقية الشخصيات الأخرى؛ يدل على ذلك أحاديث الاجتماع في المقهى، "أين أنت يا روشان؟ افتقدك يا عزيزي في حالة الحزن وفي حالة الفرح وفي كل الأحوال..."(٤). "حيث المقهى الذي كان يجمعنا سويا..."(٥). كما عبرت الشخصية عن إعجابها ببعض الأمكنة، وبخاصة معمارية البناء، فجاء هذا الوصف على لسان الشخصية في سياق التجول والتنقل؛ "ثريا عملاقة في سقف المسجد، والدخان المتصاعد من البخور يحلق عاليا..."(٦). ومثل: "شاطئ نظيف، كأن لم تطأه قدم من قبل"(٧). ومن

(١) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١٦.
(٢) المصدر السابق، ص٩٤.
(٣) المصدر السابق، ص٩٨.
(٤) المصدر السابق، ص٩٥.
(٥) المصدر السابق، ص٩٥.
(٦) المصدر السابق، ص٨٣.
(٧) المصدر السابق، ص٣٠.

الشخصيات في هذه الرواية، وهي شخصيات مؤثرة في علاقتها مع الشخصية المحورية؛ ومن أبرزها:

- إبراهيم: الشخصية التي ساعدت البطل في الانتقال إلى العمل في الرياض، وهي شخصية كثر وجودها في العمل؛ لتسببها في نقل الأحداث من مكان إلى مكان آخر؛ ولأنها الأقرب إلى شخصية البطل، "إبراهيم الصديق الأقرب قلبا إليّ"(١).
- عامر: صاحب العمل الذي عمل لديه البطل، وحدثت بينهما صداقة ومواقف كثيرة، ساعدت في نمو الأحداث وتطورها.
- العم صالح: صاحب المزرعة، عمل لديه البطل، ومثل جانب التجربة الإنسانية التي استفادت منها الشخصية المحورية.
- شخصيات عائلة عامر: وهي شخصيات قريبة إلى الشخصية المحورية؛ لكونه يعمل سائقا خاصا، ولها دور في نمو الأحداث والأفعال. "سحر، هند، فاطمة...".
- شخصيات الأصدقاء: الذين جمعهم العمل واللقاء في المقهى.
- شخصيات عائلة البطل: ودورهم تمثل غالبا في المواقف المفصليّة التي ساهمت في نمو الأحداث، وفي جانب التذكر والذكريات؛ لبعد الأمكنة.

وهذه الشخصيات تتفاعل مع بعضها؛ لتساعد في إنتاج الأحداث، وتشكل البناء المكاني، وقد تعددت أدوار الشخصيات حسب الثقافات والأفكار والحضارات والتجارب الذاتية...؛ لتؤدي كل شخصية وظيفتها في العمل.

(١) المصدر السابق، ص٢٤.

المطلب الثاني: المكان والوصف

الوصف من أهم أساليب تصوير المكان؛ فهو الأداة التي تجسد الأمكنة، وهو يعني: "نظاما أو نسقا من الرموز يستعمل لتمثيل العبارات وتصوير الشخصيات أو مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية"(١). فالوصف تقنية فعّالة في الخطاب الروائي وغيره؛ يقوم به الراوي تفصيلا وتوضيحا؛ للكشف عن حالة الموصوف، ويتخذ عنصري الموضوعية والذاتية؛ ففي الأول؛ يصف الراوي الإطار المكاني، وصفات الشخصيات وأحوالها...، وفي السرد الذاتي؛ يندمج مع الذات في أحوالها النفسية، ويتفاعل مع رؤيتها...، وربما يهتم الوصف بالمكان والشخصيات أكثر من الزمنية؛ بتقديم التفاصيل الجزئية والدقيقة التي ترتبط بالمكان أو الشخصية؛ متجاوزا بذلك زمنهما، فهو يقوم بتشخيص المكان؛ ليجعل أحداثه محتملة الوقوع؛ ومن هنا يشارك المتلقي في هذا التصور، أي: احتمالية واقعيتها. فـ"يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي، ويشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع"(٢). ووصف المكان يعطي تصورات عن طبيعة الشخصيات، فعندما يصف الراوي المكان الضيق؛ فكأنه يصف صاحبه...، وإذا وصف الفخامة والأثاث والأشياء المتعلقة بالمكان، فكأنها نوع من وصف الشخصية، أي: لكل وصف انعكاسه على الشخصية، فيعطي دلالة عن المستوى الذاتي والنفسي والاجتماعي والثقافي والفكري...، وقد تجلى الوصف في هذه الرواية على مستويات متعددة، وبخاصة وصف الأمكنة التي

(١) إبراهيم جنداري، "الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا"، (ط١، بيروت: دار تموز، ٢٠١٣م)، ص١٧٥.

(٢) سيزا قاسم، "بناء الرواية...". (د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م)، ص ٨٢.

ارتبطت بها الشخصية، وسوف أشير إلى مثالين فقط؛ كمثالين لتوضيح العلاقة بين الوصف وبين المكان، المثال الأول: وصفه لمدينته وبيت أسرته...، وهنا يتجلى الوصف الدقيق لحالة المكان وانعكاسه على الشخصيات، "تقع مدينة كوتشي بولاية كيرلا، في المنطقة الاستوائية على الساحل الجنوبي لشبه القارة الهندية...، بيت صغير تقدّم به الزمن؛ فأصيبت جدرانه بشروخ وتشققات بارزة وأبواب خشبية بعضها بلغ من العمر عتيّا...، ساحة أمامية صغيرة، زرعتْ أمي عند أطرافها أشجار المورينجا، أزهار مختلفة وحشائش أخرى، تغطي بُقعا متفرقة أمام المنزل، تظهر حين تكرمها السحب بهطول الأمطار وتزهو ألوانها..."(١).

والمثال الثاني: وصفه لذاته وحالة المكان، "في إحدى ليالي الصيف الممطرة، وبعد أن عدتُ بشيء من قوت يومي، دخلت المنزل منهكا، أعدتْ لي زوجتي "ناريان" عشاء، فالتهمته كحصان جائع ثم قمت بصعوبة وحملت جسدي...، لأغط في نوم عميق، قطرات المطر تنهمر على الأرض بغزاره، والغيوم تصطدم بعضها ببعض؛ ليضيء برقها، وصوت هزيم الرعد يزيد المكان رعبا، الباب الخارجي يطرق بقوة...، فتحت أمي الباب لأختي القادمة من بومباي...، دخل الجميع غرفة الجلوس...، مضى الوقت سريعا حتى منتصف الليل وهدأت العاصفة الرعدية..."(٢). فهذا الوصف يعطي تصورا عن المكان، وعن حال الشخصية، كما أسهم الخيال في رسم جمالية الوصف. ومن خلال قراءة الرواية؛ فالوصف نوعان:

– وصف عام/ إجمالي: وهو الوصف الذي يذكر الراوي فيه الأوصاف العامة للمكان، دون ذكر تفاصيل المكان وجزئياته؛ وهو الغالب. وثمة سيختزل الكشف عن

(١) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١١.

(٢) المصدر السابق، ص١٥.

ملامح الشخصية؛ بسبب هذا الوصف العام للمكان.

– وصف خاص/ تفصيلي: وهو الوصف الذي يذكر فيه أغلب تفاصيل المكان وجزئياته، أو يتوسع في وصف مظاهره وأحواله، ومن هنا ستتضح أبعاد الشخصية في علاقتها بمكونات المكان، اتضح ذلك في المثال السابق؛ الذي ظهر فيه وصف الذات وصراعها مع المكان، وقد لا يتصور الذهن وجود نص سردي يخلو من الوصف تماما؛ لأن الفعل أحيانا يحمل الدلالة الوصفية، وهذا يدلل على أن الوصف يُشكل المكان. ويتخذ الوصف الروائي؛ ثلاث وظائف:

– الوظيفة التحسينية: التي يهتم فيها الراوي بالمحسنات اللفظية والمجازية من علم البلاغة، وهدفها تحقيق الجمالية النصية وجذب المتلقي. وقد أشرت إلى شيء منها، ومنها قوله: "ما بين السماء والأرض، مضى ذلك الوقت الكئيب بسبب فراق عائلتي، واستبدّ بي الرعب..."، "تتسابق الأيام..."(١).

– الوظيفة التفسيرية: وهي التي تهدف إلى الكشف عن البعد النفسي والاجتماعي للشخصيات، فهي تقوم بوظيفة دلالية، فنكتشف من النص؛ ما يوحي بهذه الأوصاف عن الشخصية، مثل: "انبسطت أسارير عامر وانقبضت عضلات الوجه، فتشكلت تجاعيد حول العينين وأعلى الوجنتين...، فرسمت ابتسامة حقيقية دلالة على الفرح والشعور بالبهجة؛ لكل مجتهد نصيب..."(٢).

– وظيفة الإيهام بالواقعية: فيقوم الوصف بذلك من خلال إقناع المتلقي بواقعية الأحداث؛ ليشعر أنه في عالم الحقيقة لا عالم الخيال، وهذه من أبرز دلالات تجسيد المكان؛ فيعمل الوصف بهذه الوظيفة؛ فيحدث تأثيرا مباشرا بالواقع(٣). وقد ساهمت

(١) المصدر السابق، ص٦٨، ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص٩٥.

(٣) ينظر: ص٢٦، من هذا البحث.

هذه الوظائف في تشكيل المكان من جوانبه المتعددة.

المطلب الثالث: المكان والزمان:

المكان والزمان عنصران متلازمان؛ فالمكان الروائي؛ لا ينعزل عن بقية عناصر السرد، فالشخصيات التي تتأثر بمكان ما، لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمان في ذلك المكان(١). وقد ارتبطت هذه العلاقة وتداخلت حتى وصفت بالزمكانية، لكن المكان مادي مجسد يرى في عالم الواقع، بينما الزمان عكس ذلك، فلا يرى واقعيا أو يُشخص، لكننا نشعر به ونرى أثره في الإنسان وفي مَن حولنا، فهو قوة خفية وشبه مرئية أيضا(٢).و"المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني، ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية...، كما لها ذاتيتها التاريخية"(٣). وهذا يدلل على أن المكان والزمان يتفاعلان ويتبادلان التأثير فيما بينهما ومع العناصر السردية الأخرى، وتظهر علاقة الزمان بالمكان في هذه الرواية متداخلة في مواضع؛ لتعكس أثر هذا الترابط الزمني مع المكان، ودلالاته على الشخصيات، فعندما يوصف المكان تظهر آثار الزمن عليه، مثل: "بيت صغير تقدم به الزمن...، وأبواب خشبية بعضها بلغ من العمر عتيّا..."(٤)، أما الغرفة الأخرى، "بها صندوق كبير يحتوي على أوراق كثيرة، تغطيه طبقة من التراب، تشير إلى مرور فترة طويلة من الزمن، لم تفتح

(١) ينظر: حسن بحراوي، " بنية الشكل الروائي"، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) ينظر: أحمد حمد النعيمي، "إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة"، (ط١، بيروت–الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م)، ص٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص٨٢.

(٤) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١١.

فيها أقفاله..."[١]. "استيقظت باكرا، ارتديت ملابسي وهممت بالخروج من الملحق..."[٢]. "بدأت يومي كسائر الأيام، وصلت إلى الساحة الكبيرة بوسط المدينة..."[٣]. "ذات مساء دامس غطّى السواد أنحاء المدينة، ودفعتْ ظلمة الليل السكان إلى الهجوع...."[٤]. فأينما اتجهت بالقراءة؛ ستجد هذا التلازم الزمكاني في هذه الرواية؛ لطبيعة هذه العلاقة، ولأن الراوي استخدم تقنية الاسترجاع، "عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد"[٥]. مثل: "عدت إلى حقيبتي فوجدت صورة قديمة كتب عليها اسمي ولكن وجهي كان منيرا، فذهبت إلى المرآة لأتفحص وجهي، ولكنني لم أرَ سوى شبح لا يشابه تلك الصورة، ووجها متلونا بأنواع الهموم وجسدا تتصارع أجزاؤه بعضها مع بعض، فالقلب أخذه الشوق إلى بلاد الهند والقرب من الأحباب..."[٦]. "ارتشفت مذاق الشاي السيلاني الذي قدمه لي صديقي الجديد على أنغام أغنية هندية، سحبت روحي إلى الوراء؛ لأتذكر أيام الحب الجميلة..."[٧]. فالعلاقة تجلت في استعادة الذكريات، وقيمة هذه التقنية في تغيير زمن الراوي؛ لينتقل إلى زمن ماضٍ، يتذكر فيه الأمكنة التي بقيت في ذاكرته مع الزمن. وقد يستخدم الكاتب: التلخيص؛ الذي يسرد فيه أوقاتا من حياة الشخصية،

(١) المصدر السابق، ص١٢.
(٢) المصدر السابق، ص١٧.
(٣) المصدر السابق، ص١٨.
(٤) المصدر السابق، ص١٥٥.
(٥) سيزا قاسم، "بناء الرواية". مرجع سابق، ص٤٠.
(٦) المستنير، "أوراق المورينجا"، ص١٥٤.
(٧) المصدر السابق، ص١٥٥.

دون ذكر تفاصيل لها أو تحديد؛ ليدلل عليه بألفاظ قليلة، مثل: "إنها مجرد ساعات قليلة قبل أن تحلق طائرتي عاليا"[١]. ومثل: "بعد بضعة أيام..."، و"مضت أسابيع أخرى..."[٢]. فالعلاقة بين المكان والعناصر السردية الأخرى قائمة، لكنها أكثر ارتباطا مع الزمن؛ فذكر أحدهما يستلزم الآخر، وبخاصة في العمل الروائي؛ لارتباط المكان بزمن الرواية.

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٦.

الخاتمة:

لما كان للمكان أهميته في الخطاب الروائي؛ من حيث الجمالية والعلاقات مع العناصر السردية الأخرى؛ جاءت هذه الدراسة؛ لتسهم في الكشف عن جماليات المكان وعلاقاته في هذه الرواية؛ فتكونت من مقدمة ومهاد ومبحثين ثم خاتمة، فقائمة بمصادر البحث ومراجعه، وخلص البحث إلى هذه النتائج:

- أبانت الرواية عن تعددية الأمكنة فيها، وهذه التعددية أتت بها الجغرافيا الواسعة التي تضمنتها أحداث الرواية، وتعدد الأمكنة فيها أدّى لتعدد الأحداث.
- كون عنصر المكان في هذه الرواية العمود الفقري الذي يربط بين أجزائها وبخاصة مع عنصر الشخصيات وصراعها معه، ربما بسبب تأثير عنصر الغربة.
- هذه الرواية إضافة فنية تميزت بتوظيف السرد بين الواقع الحقيقي والمتخيل الروائي، فجاءت أحداثها بين الواقعية والخيال؛ لتكشف عن الإنسان وأحلامه وآماله...، في هذه الحياة.
- أعتبرُ هذه الرواية؛ رواية مكان بتفوق؛ لأن الراوي نوّع في عنصر الأمكنة وعدّد في ذكرها، فلم ينغلق على مكان محدد؛ يتضح ذلك من كثرة تنقلات الشخصيات من مكان لآخر.
- غلبت الأمكنة الواقعية على هذه الرواية؛ مما أوهم بواقعية أحداثها كثيرا، مثل: الرياض، بومباي، الهند، المنزل، الغرفة، حي الروضة...
- أحسن الراوي في الوصف، فجسّد بعض الأمكنة من خلال تفاصيلها الدقيقة وتفاعل الشخصيات معها.
- تنوع المكان في هذه الرواية بين المكان المفتوح والمكان المغلق، وكثرت الأمكنة المغلقة؛ لأنها أماكن كونت ذاتية الشخصية وخصوصيتها، مثل: البيت، الغرفة، السيارة، المطبخ، المقهى...

- خدمة اللغة سردية المكان؛ لاستعمال الراوي لأسلوب سهل واضح؛ يناسب الوصف لبعض الشخصيات والعادات والصفات والأمكنة.
- ساهمت البيئة المكانية في إظهار بعض الدلائل الثقافية والاجتماعية، مثل: أسماء بعض الشخصيات، وأنواع الطعام ومكوناته.

ويوصي البحث بالإجراء التطبيقي؛ ليسهم في حركيّة البحث وتطوره. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

أ– المصادر:

المستنير، محمد. رواية: "أوراق المورينجا". (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٧م).

ب– المراجع:

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).

إسماعيل، عز الدين. "الأسس الجمالية في النقد العربي". (د. ط، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ).

باشلار، غاستون. "جماليات المكان". ترجمة: غالب هلسا. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).

بحراوي، حسن. "بنية الشكل الروائي". (الفضاء، الزمن، الشخصية)، (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).

جنداري، إبراهيم. "الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا". (ط١، بيروت: دار تموز، ٢٠١٣م).

حبيلة، الشريف. "بنية الخطاب الروائي". (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).

حسين، خالد. "شؤون العلامات: من التشفير إلى التأويل". (د. ط، د. م، التكوين للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).

زعيتر، حمادة تركي. "جماليات المكان في الشعر العباسي". (ط١، عمان: الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

زيتوني، لطيف. "معجم مصطلحات نقد الرواية". (ط١، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ٢٠٠٢م).

عبد الرحمن، مبروك مراد. "جيوبوليتكا، النص الأدبي". (ط١، د. م، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م).

عبد النور، جبور. "المعجم الأدبي". (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).

عبيدي، مهدي. "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة". (د. ط، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م).

عزام، محمد. "شعرية الخطاب السردي". (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م).

قاسم، سيزا. "بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ". (د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م).

القاضي، محمد. مجموعة مؤلفين. "معجم السرديات". (ط١، تونس: الرابطة الدولية للناشرين، ٢٠١٠م).

قسومة، عبد الحميد. "تجليات الزمن الروائي". (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ٢٠٠٨م).

لحمداني، حميد. " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م).

لوتمان، يوري. "مشكلة المكان الفني". ترجمة: سيزا قاسم. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث للنشر، ٢٠٠٠م).

محمد، مثنى. "مفهوم القيمة بين الجمال والجميل والجمالية". (رسالة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد، د. ت).

مرتاض، عبد الملك. "في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد". (د. ط، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٨م).

مرتاض، عبد الملك. "النص الأدبي من أين؟ وإلى اين؟". (ط٢، بيروت: دار الجيل،

١٩٦٦م).

مرتاض، عبد الملك. "نظرية النص الأدبي". (ط٢، الجزائر: دار هومة، ٢٠١٠م).

النصير، ياسين. "الرواية والمكان". (د. ط، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦م).

النعيمي، أحمد حمد. "إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة". (ط١، بيروت–الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م).

يقطين، سعيد. "قال الراوي البنايات الحكائية في السيرة الشعبية". (ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م).

Bibliography

Sources:

Al-Mustaneer, Muhammad. "Leaves of Moringa Novel" (in Arabic) (1st ed., Beirut: Al-Dar Al-Arabiyyah, 2017).

References:

Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. "Lisān Al-ʿArab". (1st ed., Beirut: Dār Sadir, 1997).

Ismail, ʿIzz al-Din. "Al-Asās Al-Jamāliyyah fi Al-Naqd Al-ʿArabi". (Beirut: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1412 AH).

Bachelard, Gaston. "The Aesthetics of Place". Translated by: Ghalib Halasa. (1st ed., Beirut: Mu'assasat Al-Risalah, 2001).

Bahrawi, Hasan. "The Structure of the Narrative Form" (in Arabic). (Al-Fada', Al-Zaman, Al-Shakhsiya)". (1st ed., Beirut: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-ʿArabi, 1990).

Jandari, Ibrahim. "The Structure of the Narrative Form" (Space, Time, Character) (in Arabic). (1st ed., Beirut: Dar Tamuz, 2013).

Hobailh, Al-Shareef. "The Structure of Narrative Discourse" (in Arabic). (1st ed., Jordan: Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2010).

Husain, Khalid. "Shu'oun Al-Alamat: Min Al-Tashfir Ila Al-Ta'weel". (Al-Takween, 2008).

Zuʿaitarr, Hamadah Turrki. "Jamāliyyāt Al-Makān fi Al-Shiʿr Al-Abbasi". (1st ed., Amman: Dar Al-Radwan, 2013).

Zaytouni, Latif. "Muʿjam Mustalahāt Naqd Al-Riwāyah". (1st ed., Lebanon: Maktabat Lubnan Nashiroun, Dar Al-Nahar, 2002).

Abd Al-Rahman, Mabrouk Murad. "Geopolitics, literary text" (in Arabic). (1st ed., n.p., Dar Al-Wafā, 2002).

Abd Al-Nour, Jabbour. "Al-Muʿjam Al-Adabi". (1st ed., Beirut: Dar Al-ʿIlm, 1979).

ʿUbaidi, Mahdi. "Jamāliyāt Al-Makān fi Thulathiyyāt Hanna Mina". (Damascus: Munshurat Al-Hay'ah Al-Ammah Al-Suriyyah, 2011).

ʿAzam, Muhammad. "Poetics of Narrative Discourse". (in Arabic). (Damascus: Ittihad Al-Kuttab Al-ʿArab, 2005).

Qasim, Siza. "Structuring the Novel: A Comparative Study of Naguib Mahfouz's Trilogy" (in Arabic). (Cairo: Al-Hay'ah Al-Misriyyah Al-Ammah Lil-Kitab, 1984).

Al-Qāḍī, Muhammad. Group of Authors. "Mu'jam Al-Sarrdiyāt". (1st ed., Tunis: Al-Rabita Al-Duwaliyyah, 2010).

Qassoumah, ʿAbd al-Hameed. "Manifestations of the novelistic time" (in Arabic). (1st ed., Beirut: Munshurat Muhammad Ali Baidoun, 2008).

Lahamdāni, Hameed. "The structure of the narrative text from the perspective of literary criticism" (in Arabic). (1st ed., Beirut: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi, 1991).

Lotman, Youri. "The problem of artistic space". Translated by: Siza Qasim. (1st ed., Beirut: Dar Ihya' Al-Turath, 2000).

Muhammad, Muthana. "The concept of value between beauty, the beautiful and aesthetics" (in Arabic). (Thesis, Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Baghdad).

Murtāḍ, ʿAbdul Malik. "In the Theory of the Novel: A Study of Narrative Techniques" (in Arabic). (Kuwait: Alam Al-Ma'rifah, 1998).

Mortadh, Abdul Malik. "Al-Nass Al-Adabi Min Ain? Wa-Ilā Ain?". (2nd ed., Beirut: Dar Al-Jeel, 1966).

Murtāḍ, ʿAbdul Malik. "Nazariyyat Al-Nass Al-Adabi". (2nd ed., Algeria: Dar Houmah, 2010).

Al-Naseer, Yaseen. "Al-Riwāyah wa Al-Makān". (Baghdad: Dar Al-Hurriyah, 1986).

Al-Nuʿaimi, Ahmad Hamad. "The Rhythm of Time in the Contemporary Arabic Novel" (in Arabic). (1st ed., Beirut-Jordan: Al-Mu'assasah Al-Arabiyyah, 2004).

Yaqtin, Saʿeed. "The narrator said: The narrative structures in the popular biography" (in Arabic). (1st ed., Morocco: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi, 1997).